Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخذ يصوّر كيف أن مصر والشام ركنان للشرق يخفق عليهما هلال الإسلام المضيء وكيف أنهما ركنان عتيدان للضاد وأدبها الرفيع، وإنها لأمهما تجمع بينهما أمومتها الرَّءُوم، كما تجمع بينهما أبوَّة النسب الشريف إلى العرب، وإنها لروابط وُثْقَى تجعل راسيات الشام تميد وذُرَى لبنان تهيج حين تنزل بأختها مصر نازلة أو كارثة. ويحيِّى أبناء سوريا ولبنان المهاجرين إلى مصر والآخرين المبعدين فى الهجرة إلى العالم الجديد: إلى أمريكا شمالاً وجنوبًا، وينشد:

رَادُوا المناهلَ فى الدنيا ولو وجدوا ... إلى المجرَّة رَكْبا صاعدًا ركبوا
أو قيل فى الشمس للراجين منتجَعٌ ... مَدُّوا لها سببًا فى الجوِّ وانتدبوا
هَذِى يَدِى عن بنى مصرٍ تصافحكم ... فصافحوها تصافحْ نفسَها العربُ

وأحسب أن كلّ سوريّ ولبنانىّ ودَّ - حينئذ - لو يصافح حافظًا هذه المصافحة الكريمة، مصافحة الأخ لأخيه الشقيق البار. وتُغير إيطاليا على طرابلس سنة ١٩١٢ تريد انتزاعها من الدولة العثمانية وكانت حينئذ تابعة لها، ويبدو بعض الأمل فى انتصار تركيا، فينشد حافظ قصيدة ميمية يفتتحها بقوله:

طمعٌ ألقى عن الغَرْبِ اللِّثاما ... فاستفقْ يا شرقُ واحذرْ أن تناما

ويصوِّر بسالة الطرابلسيين والأتراك فى الحرب وأنهم يموتون كرامًا فى سبيل الذود عن الحمى، ويجسِّد فظاعة الإيطاليين ووحشيتهم فى قتل الذرارى والتمثيل بالنساء والشيوخ لا يرحمون طفلاً ولا يبقون على غلام، ويقول: إننا ملأنا البرّ من أشلائهم، وأحلناه حُمًا أشدّ حَصْدًا لهم من بركانهم فى جنوب بلادهم: فِيزوف، وينشد:

اطمئنِّى أُمَمَ الشرق ولا ... تَقْنَطى اليومَ فإن الجَدَّ قاما
إنَّ فى أضلاعنا أفئدةً ... تعشق المجدَ وتأبى أن تُضَاما

ولم ينتعش الجدّ والحظّ طويلاً فإن إيطاليا لم تلبث أن استولت على طرابلس استيلاءها المشئوم. وكان حافظ صديقًا حميمًا لخليل مطران اللبنانى الأصل الذى اتخذ مصر دارًا ومقامًا ولُقِّب شاعر القطرين، وقد أقيم له فى سنة ١٩١٣ حفل